Université Frère Mentouri , Constantine
Laboratoire Traduction et Langues

N° Volume : 6 N° Numéro : 8 Type du numéro : Ordinaire

https://www.asjp.cerist.dz/revues/571

دور الترجمة في الحفاظ على المراجع التاريخية، ترجمات أبو العيد دودو حول تاريخ الجزائر أنموذجا:

The role of translation in preserving historical references, the translations of Abu Eid Dodo on the history of Algeria as a model.

الباحث: حمودة جلال[1] (طالب دكتوراه): جامعة مولود معمري تيزي وزّو.

تاريخ الإرسال 08-03-2021 تاريخ القبول 11-06-2021

ملخص: يهدف هذا البحث إلى إبراز أهميّة ترجمة النصوص التاريخية خصوصا تلك المكتوبة بلغات أخرى غير الفرنسية والانجليزية، مع توضيح أهمية ترجمتها وما تحتويه على معلومات.

إنّ ترجمة هذه النصوص تحديدا، تقدّم معلومات تاريخية مهمّة ، عكس النصوص المنشورة م باللغة الفرنسية بعناوين أخرى، فهذه النصوص تتصف بالموضوعية ودقّة التفاصيل لأن عبارة عن مذكرات شخصيّة، اهتمت بنقل أدقّ التفاصيل لمراحل محوريّة من تاريخ الجزائر، خصوصا تلك التي سبقت الاحتلال الفرنسي وتزامنت مع سنواته الأولى .

كلمات مفتاحية: الترجمة، النص التاريخي، أبو العيد دودو، تكامل المعارف

Abstract: This research aims to study the translation of historical texts, especially those in languages other than French and English, and to clarify the importance of their translation and the information contained therein.

The translation of these texts provides important historical information, as opposed to the texts published in French with other titles. These texts are objective and precise because they are personal diary, which are concerned with conveying the most accurate details of Algeria's history, especially those that preceded the French occupation and coincided with its early years

Keywords: translation, historical text, Abu Elid doudou, interdisciplinarity

1- مُقدّمة:

حجزت الترجمة على مدار العصور لنفسها مكانة مهمة، إذ كانت في أوّل الأمر تضطلع بالأغراض التواصلية، مثل التجارة أو المقايضة أو الدعوات الدينية لمختلف الرسالات السماوية،

[1] hammoudadjalal@gmail.com

N° Volume : 6 N° Numéro : 8 Type du numéro : Ordinaire

https://www.asjp.cerist.dz/revues/571

لتصير بعد ذلك أداة شرطية، في التأثير والتأثّر والتواصل الحضاري، من خلال ترجمة مختلف العلوم المعارف، بل احتلت مكانة أساسية في تحقيق النهضات الفكرية في مختلف الأقطار، وهذا ما أثبتته العديد من المحطّات التاريخية، حين جعل أصحاب السلطة الترجمةَ نُصب أعينهم، مثل ما كان عليه الحال في العصر العباسي، أو عهد الخديوي إسماعيل بمصر وغيرهما... والحديث هنا يدور عن الترجمة إلى اللغة العربية طبعًا.

في الوقت الراهن تلعب الترجمة دورا رياديا في تحقيق التفاعل الثقافي، فهي همزة وصل تسمح بتناقل العلوم والمعارف والآداب بمختلف أشكالها، والترجمة المتخصصة على وجه التحديد تكتسي نوعًا من الأهمية؛ إذ هي تكيّفٌ للترجمة باعتبارها ممارسة لغوية في شكلها العام أو الترجمة بمفهومها العام مع التطورات الحاصلة في كل ميدان فكري،ّأو بالأحرى في كل تخصص، وتتخذ العملية الترجمية في كل نوع من أنواع النصوص وسائل في النقل يعتمدها المترجم.

ويُمكن أن تكون الترجمة وسيلة لاستعادة إرثٍ ثقافي أو فكري في مجال معيّن مثل الأدب أو الفلسفة أو التاريخ, تناقلته اللّغات الأخرى عن لغة معينة، كما حصل مثلاً وأن استعادت النهضة الأوربية الكثير من العلوم التي ترجمها العرب سابقا عبر إعادة ترجمتها، نظراً لكون أن الترجمة في عمومها مفيدةً من جهة، وكذلك لِما في ترجمة العلوم والآداب إلى لغتها الأصلية من دور في استعادة للتاريخ أو الأصل. فيصبح النقل هنا ترجمةً وفي نفس الوقت انتصارا أو استعادةً للذات.

والحال أن علم التاريخ على وجه الخصوص يُعتبر علمًا مهمًّا، يربط الإنسان فردا والأمة مجتمعا ككل بماضيه، كما لا يمكن تجاهل مركزيّته بين مختلف التخصصات، إذ يجري الحديث عن تاريخ الدول والحضارات مثلا ، وتاريخ العلوم مثل تاريخ اللّغات، وتاريخ الصناعات وغير ذلك مما يسلط المؤرخون عليه الضوء، وفي دراسة التاريخ توصلٌ ليس فقط مع أحداث حصلت في الماضي، بل تواصلٌ أيضا من عمق هوياتي، واستشراف مستقبلي باعتماد الماضي وبحث عن كنه الكثير من الحقائق التاريخية فلا يمكن بأي شكل من الأشكال بتر علاقة الإنسان بتاريخه. وممّا سبق، فهل للترجمة دور يتقاطع مع التاريخ؟ وإن كان كذلك، فما الذي يمكن أن يضيفه المترجم للمؤرّخ؟ في هذا البحث محاولة للإجابة على ذلك مع انتهاج طريقتي الوصف والتحليل، بُغْيَةَ التوصّل إلى نتائج تجيب على ما سبق من أسئلة.

2-المترجم والتاريخ وتكاملية المعارف

2. 1 تكامليّة المعارف بين الترجمة والتاريخ:

بالحديث عن أهميّة النصوص والكتب في حفظ تاريخ الدول المجتمعات، يحتاج المؤرّخ على غرار باقي المتخصّصين، بل وبشكلٍ أكبر، إلى مراجع ومصادر علمية يستند إليها في أبحاثه، وبقدر الحاجة إليها يحتاج كذلك إلى تنوّع مصادره العلمية، بِغرَضِ التدقيق الكبير في المعطيات التاريخية، وإلى جانب أهمية هذه المعلومات يحدث وأن يجد المؤرّخ نفسه أمام مصادر مهمّة له لكنّها بلغة أجنبية لا يتقنها، وهنا يُحال الدّور إلى المترجم، وقد يَلْفِتُ هذا الأخير انتباه المؤرّخ عبر ترجماته للمؤلّفات التاريخية باجتهادٍ منه.

N° Volume : 6 N° Numéro : 8 Type du numéro : Ordinaire

https://www.asjp.cerist.dz/revues/571

خوضاً في هذه المسألة، وجب أوّلاً التعريف بعلم التاريخ؛ إذ يصـف ابن خلـــدون التاريخ فيقــول :" اعلمْ أنّ فنّ التّأريخ فنٌّ عزيزُ المذهبِ جمُّ الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم. والأنبياء في سيرهم. والملوك في دولهم وسياستهم حتّى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدّين والدّنيا فهو محتاج إلى مآخذ متعدّدة ومعارف متنوّعة وحُسن نظرٍ وتَثْبّتٍ يفضيان بصاحبهما إلى الحقّ وينكّبان به عن المزلّات والمغالط " (ابن خلدون، 808هـ، صفحة 06) ومن خلال هذا التعريف يمكن القول أن التاريخ باعتباره علمًا له من المنافع ما لا يمكن التغاضي عنها، كما أنه يحوز على منهجٍ يساعده الدارسين له في كتابته ونقله وتتعدّد منافع على تعدّد ما يتطرّق له من علومٍ دينيّة ودنيوية كما ذُكر في التعريف.

إنّ النصّ التاريخي، نصٌّ متخصصٌ بالدرجة الأولى ويتّسم أسلوب كتابة تحوطه ضرورة دقّة المعلومات والتواريخ والأزمنة، وأسماء الأعلام والمدن، ومختلف الأمكنة، ويتخذ في غالب الأمر أسلوب السرد طريقة له.

والمقصود بالنصوص المتخصصة هي تلك النصوص الموجّهة إلى جمهور المتخصصين، والتي تنسب إلى ما يسمى بلغات التخصص: أي اللغة التقنية والعلمية والقانونية والاقتصادية والإدارية" (ألبير، 2007، صفحة 75) وتَمَيُّزُ هذه النصوص في تأليفها ومواضيعها، يجعل ترجمتها هي الأخرى تتنوع بتنوّع لبموايع التاريخية، من خلال احترام الأساليب واستراتيجيات التي يتّبعها المترجم.

وبالحديث عن النهج أو الإستراتيجية، يُمكن وصف إستراتيجية الترجمة على أنّها المنظور العام للنقل، أو مفهوم النقل الخاص بنصٍّ معين مثل إستراتيجية شيشرون ذات التوجه الخطابي... فهي خطوات قد تكون واعية، يتخذها الفرد لحلّ مشكلة يواجهها في أثناء ترجمة شريحة نصية من لغة إلى أخرى" (لييهالمي، 2015، صفحة 59)

وترجمة النصوص التاريخية هي نوع من أنواع الترجمة، تحت الترجمة الثقافية والعلمية التي تُعنى بنقل الآثار والمؤلفات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية من لغة غلى أخرى (الخوري، 1989، صفحة 56) ما يجعل النص التاريخي، يخضع لضرورة احترام كل التفاصيل الواردة داخله ساعةَ ترجمته وقد تتضاعف المُهمّة الملقاة على عاتق المترجم في حال التحقّق من المعلومات الواردة في النَصّ من جهةٍ وترجمتها من جهة أخرى في الوقت ذاته.

كما يُعرّفُ المنهج الترجمي أنّهُ تطبيق خطوات بعينها يحكمها مبدأٌ يتّسق مع الغاية التي رسمها المترجم لنفسه، إنّها خيار شامل يغوص في كلّ أرجاء النّص، فتغيير المتلقي ووجود غاية مختلفة للترجمة، وذلك الخيار الشخصي، هذه كلّها تدفع المترجم، إلى استخدام مناهج مختلفة. (ألبير، 2007، صفحة 68) فمترجمُ النصّ التاريخي مُطالبٌ بنقل النصّ من لغته الأصل لفئات محددة قَاسِمُهُم المشترك هو الاهتمام بنفس التخصص مثل النص التاريخي كما هو حال هنا، وهو نفسه ما انشغل أبو العيد دودو به حيث ترجم النصوص الأدبية، والتاريخية وغيرها، وقد اتخذ منهجا في ترجمة النصوص التاريخية يقوم على البحث، والتحقيق والتعليق أوّلاً، ثم يترك الأمر كما يذكُرُ بيد المؤرخين ثانيا، بعد أن يزوّدهم بكَمٍّ من المعلومات بفضل تلك الترجمات.

2.2 من هو أبو العيد دودو؟ :

Université Frère Mentouri , Constantine
Laboratoire Traduction et Langues

N° Volume : 6 N° Numéro : 8 Type du numéro : Ordinaire

https://www.asjp.cerist.dz/revues/571

أبو العيد دودو قلم من الأقلام المعاصرة التي تركت بصمتها الوسط الأدبي في الجزائر، جمع بين الأدب بما فيه القصة، الرواية، المسرح...إلخ، كما كان للترجمة نصيب الأسد من أعماله خصوصا عن اللغة الألمانية، تنوعت ترجماته في الأدب والتاريخ، تحصل أبو العيد دودو على الدكتوراه بتاريخ 3 من مارس 1961، وعُيّن بعدها بصفة رسمية مُدرّسا للغة العربي في جامعة فيينا، من طرف وزارة المعارف النمساويّة (دودو، رسالة من النمسا، 1962، صفحة 83) ليُكَلّف من طرف مدير المعهد الشرقي بجامعة فيينا مدرّسا للغة العربية، (بفايفر، 1974، صفحة 82)

حلَّ أبو العيد دودو بالنمسا بعد أن انتهى من دراسته في بغداد، ومن النمسا أخذ يكتب القصّة والمقالة ويرسل بإنتاجه إلى صحف تونس لأنه لم يبق في ساحة الجزائر غير الصحف الموالية للإدارة الاستعمارية أو الصادرة عنها، واستمر دودو ينشر إنتاجه على قلته - من تونس، فنشر في الندوة والفكر والصباح، كما نشر بعض إنتاجه في مجلة الآداب اللبنانية، ومن ذلك إنتاجه القصصي: نضال، والعودة، وجاء دورك، وانتظار، والحلم، والفجر الجديد، والحبيبة المنسية، والغالب أن بعض هذه القصص ظهر في مجموعته الأولى (بحيرة الزيتون) (سعدالله، 2007، صفحة 483)

كان أبو العيد دودو غزير الإنتاج، منتظم النشر، قد تنوعت أعماله بين مقالات وكتب وترجمة، منها ما نُشر ومنها لم يُنشر، كما واظب على كتابة الأدب ونال النصيب الأكبر ممّا كتبه، وفي الوقت نفسه حرص على الاشتغال بترجمته، وهو أوّلُ من نقل رواية الحمار الذهبي لأبوليوس من اللاتينية إلى العربية ، وهي أوّل راوية في شمال إفريقيا في العهد النوميدي.

وعن ترجمة التاريخ على وجه التحديد، فقد عرّب أبو العيد دودو عدّةً من الكتب التاريخية، تحديدا المتعلقة منها بتاريخ الجزائر ونخصّها بالذكر كونها موضوع البحث، وأبرزها:

- الجزائر في مؤلّفات الرحّالين الألمان (1830- 1850).

- قسنطينة أيّام أحمد باي (1837-1832).

- مذكرات سيمون بفايفر أو لمحة تاريخية عن الجزائر.

وهذه المؤلّفات الثلاثة من الكتب التاريخية المهمّة التي تقدّم للمؤرّخين وأهل الاختصاص نظرة تفصيلية شاملة، حول تاريخ الجزائر قُبيْل الاحتلال الفرنسي وبعد سنواته الأولى من الانتشار على أرض الجزائر، والمميز فيها أو القاسم بينها أنّها مترجمة عن اللغة الألمانية ما يجعلها محطّ موضوعيّة أكبر من تلك النصوص الفرنسية التي غالبا ما تميل إلى تحريف والأحداث والحقائق التاريخية لأغراض إيديولوجية تخدم المحتل.

3 أبو العيد دوودو بين النقاش النظري للترجمة وترجمة النصوص التاريخية

3. 1 أبو العيد دودو والمسائل النظرية في للترجمة:

عن رأيه في الصعوبات التي تواجه المترجم وهو ينقل إلى اللغة العربي، يظنُّ أبو العيد دودو أن الصعوبة الأولى التي تقف أمام المترجم هي نقل الخصوصيات، كما أن طبيعة النقل تتوقف على مدى معرفة المترجم باللغتين المنقول منها والمنقول إليها. (بكّار، 2001، صفحة

Université Frère Mentouri , Constantine
Laboratoire Traduction et Langues

N° Volume : 6 N° Numéro : 8 Type du numéro : Ordinaire

https://www.asjp.cerist.dz/revues/571

12)، وفي نفس الوقت لا يغفل عن نقد كثير من الترجمات الحديثة كما يصفها بالترجمات القاموسية، والظاهر هنا أنه يقصد الترجمة الحرفية، يقول أنه من المؤسف أننا نلاحظ في كثير من الأحيان، أن كثيرا من المترجمين يعتمدون الترجمة القاموسية، أو أنهم لا يلاحظون مثلا أن الجملة في لغتها الأصلية تعني شيئا آخر، غير ما تدلّ عليه في اللغة المترجم إليها.... بحيث تتصور نفسك في بعض الأحيان، عندما تقرأ نصّا عربيا كأنّك تقرأ لغة أجنبية بكلمات عربية. (بكّار، 2001، صفحة 13)

وفي نفس الوقت يطرح أبو العيد دودو، إشكالا آخر يواجه المترجم وهو نقل دلالة الكلمات بالدقة الكاملة، ويذكر أن دلالة الكلمات تختلف من لغة إلى أخرى، ويعطي مثالا بكلمة"ثقافة" التي تحمل في اللغات الأوروبية حضارة كاملة، أي أن هناك دلالات مختلفة عبر عصور التاريخ اللغوي والأدبي... والقارئ بحاجة إلى أن يعرف دلالة الكلمة وليس للمترجم أن يحدثه عن تاريخها. (بكّار، 2001، صفحة 13)

وعن مدى إمكانية وجود بوادر لنشوء نظرية عربية للترجمة، من وراء النقاشات العديدة حول الترجمة، يرى أبو العيد دودو، أنّ الإشكال يكمن في جانب آخر غير النقاشات، يتمركز أساسا في غياب خلفية تاريخية لدى المترجم، وحسب رأيه؛ فالتنظير في الترجمة، لم يقمْ على أساس الرجوع إلى الترجمات القديمة إلّا نادراً، وهذا ما يستدعي المترجم قبل الإقبال على الترجمة أن يكون قد مرّ بمعرفة الترجمة في الآداب القديمة، إذ لا نجد بالأساس أدبا واحدا في تاريخ الآداب كلّها لم يقم على الترجمة، باستثناء الأدب اليوناني كوننا لا نعرف الآداب التي سبقته. (بكّار، 2001، صفحة 16). وهذا الرأي فيه من المنطق ما يجعله صائبا، فالعودة إلى الترجمات السابقة تساعد في التمييز بين الموفّق منها والفاشل، وبالتالي معرفة الأسباب الكامنة وراء كل واحد منهما.

ويستعرض أبو العيد دودو مثالين عن ذلك، فيذكر ترجمة حافظ إبراهيم لـ:"البؤساء" ويصفها بالترجمة المشوّهة نتيجة لجهل المترجم للغة التي ينقل منها، على العكس من طه حسين في ترجمته للمسرحيات اليونانية، والتي يصفها بأنها أكثر نضجا ودقّة. ويخلص إلى غياب نظرية عربية خاصة بالترجمة لم توجد بالمعنى الحقيقي واقتصر الوضع على بعض الكتب المتفرقة هنا وهناك. (بكّار، 2001، صفحة 17)

وعن اقتصار الترجمات إلى اللغة العربية على النقل عن اللغتين الفرنسية والانجليزية، وشحّ الترجمات من غيرهما من اللغات، يظنّ أبو العيد دودو أن الأمر مرتبط بمسألة اللغة وليس بمسألة التوجّه، نظرا لندرة من يجيد النقل إلى اللغة العربية، من باقي اللغات، حتى أخذ الأمر منحى آخر كأن تترجم الدول الغربية إلى العربية وهو يروم إلى التعريف بثقافة شعوبها، وفي الوقت نفسه تندر أو تغيب المدارس أو المؤسسات الترجمية، كما تغيب بعض الآداب عن الجامعات العربية مثل الأدب الصيني والهندي ,الياباني...إلخ (بكّار، 2001، صفحة 20) أي أن جوهر الأمر يكمن أساساً ، في التحكم في اللغات ومعرفتها معرفة جيدة، مهما زاد أو نقص ذيوعها، فهذا يتيح إمكانية نقل النصوص من لغاتها الأصلية ليس فقط من اللغات الأكثر شيوعا بل عن باقي اللغات، دون اللجوء إلى الترجمة الثانية أي نقل النص عن لغة تُرجم إليها من قبل.

كما يذهب أبو العيد دودو في طرحه إلى ضرورة إتّباع ترجمة انتقائية، إذ نستشف هذا من خلال تطرّقه في أحد الحوارات إلى مسألة ترجمة الأدب العربي المكتوب باللغات الأجنبية

Université Frère Mentouri , Constantine
Laboratoire Traduction et Langues

N° Volume : 6 N° Numéro : 8 Type du numéro : Ordinaire

https://www.asjp.cerist.dz/revues/571

كما هو الحال لدى الأديب "محمد ديب"، فمؤلفاته الأخيرة تحديدا، لم تعالج حسب أبي العيد دودو واقعا عربيّا مثل المؤلفات الأولى، بل واقعا إنسانيّا عامّا على حدّ قوله. كما أن الظروف المحيطة بالترجمة تختلف من مكان لآخر، تجعل الخوض في عملية الترجمة مرتبطا بعملية انتقائية، وليس دون أن نعمد إلى ترجمة أي نص، وضرورة اختيار النص المراد ترجمته، تنطبق أيضا عند الترجمة من العربية إلى غيرها من اللغات، على حد تعبير أبي العيد:" علينا أن نترجم ما يُشرّف ويرفع من قيمة الأدب العربي، وكذلك العكس نترجم أشياء جديرة بالترجمة..." (بكّار، 2001، صفحة 24)

3. 2 ترجمة التاريخ عند أبي العيد دودو:

ترك أبو العيد دودو بصمته الأدبية والعلمية في الجزائر، عبر تأليف وترجمة الكثير من الأعمال الأدبية، كما وجد في الترجمة عن الألمانية ضالّته، كونه يجيد اللغة الألمانية، وقد انشغل موازاةً مع ذلك بترجمة التاريخ، خصوصاً ما تعلق بتاريخ الجزائر وقد اعتبر ذلك واجبا وطنيّا قبل أن يكون علميّا، وممّا ترجم ونُشر له:

- "الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان"، (1855-1830) هذا الكتاب عبارة عن نصوص متفرقة جمعها أبو العيد دودو، من المكتبات النمساوية، والفضل في وجود هذه النصوص حسبه يعود إلى أن الجزائر قد عرفت في القرون الأخيرة، في نهاية العهد التركي وإبّان الاحتلال على الخصوص، عددا غير قليل من الأسرى والعبيد، كانوا ينتمون إلى معظم شعوب أوروبا، وزارها كذلك بعض الرحالين والكتاب والعلماء والشعراء، وبعد عودتهم إلى أوطانهم نشروا تجاربهم في الجزائر (دودو، 1975، صفحة 06) وهذه النصوص تهمّ لا شكّ المؤرخين وتزودهم بتفاصيل عن نواحي حياة الجزائريين آنذاك.

- "مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر"، لكاتبها (سيمون بفايفر)، يشير أبو العيد دودو في مقدمة ترجمته لهذا الكتاب، إلى أن كاتبه أفضل من عاصروه ممن كتب عن الجزائر في تلك الفترة بفضل التفاصيل التي يرويها في كتابه، وقد مكث بفايفر لمدة فاقت الخمس سنوات في الجزائر حيث دخلها أسيرا، وشغل وظائف عدّة ونال حريته بالموازاة مع دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، ومنه فالكتاب يروي أحداث السنوات الخمس التي سبقت مجيء الاحتلال الفرنسي.

- "قسنطينة أيام أحمد باي (1837-1832) " لكاتبه (فندلين شلوصر)، وعنوان الكتاب الأصلي طويل يشمل رحلات شلوصر إلى العديد من الدول، لكن النصيب الأكبر منه كان عن الجزائر، وهو ما دفع بالمترجم على أن يعدّل في العنوان بما يخدم محتوى الترجمة، المتعلق بتاريخ الجزائر تحديدا.

و عدا ما بقي حبيس الأدراج من ترجمات، كانت هذه أهمّ المؤلفات المنشورة، التي ترجمها أبو العيد دودو حول تاريخ الجزائر.

Université Frère Mentouri , Constantine
Laboratoire Traduction et Langues

N° Volume : 6 N° Numéro : 8 Type du numéro : Ordinaire

https://www.asjp.cerist.dz/revues/571

إن الملاحظ لأعمال أبو العيد الترجمية في مجال التاريخ خاصة ، يجد أنه نقل من الألمانية إلى العربية من النصوص ما يخدم هدفه تحديدا وهو تسليط الضوء على فترة تاريخية مضت من تاريخ الجزائر، وواكبت مدة ربع قرن من بداية الاحتلال الفرنسي" 1830- 1855 ". دون الاكتراث إلى باقي المعلومات التي ذكرها الرحالة عن تنقلاتهم إلى البلدان الأخرى، إلا نادرا داخل المتن، وهذا ما يتوافق مع منهجه من خلال انتقائية النص المراد ترجمته المذكورة آنفا؛ ويحدث وأن يتصرف في الترجمة، يقول:" وضع المؤلف في الأصل عنوانا طويلا لكتابه هذا، حيث سمّاه " رحلات في البرازيل والجزائر، أو مصائر فندلين شلوصر البومباجي السابق لأحمد باي بقسنطينة" .... أما الجزء الثاني فقد خصصه للحديث عن إقامته في الجزائر، إذا كانت حياته فيها أطول ,أكثر تنوعا وجعل عنوانه (ا لجزائر 1831-1837) ولهذا ارتأيت تغيير العنوان الأصلي للكتاب حتى يكون عنوانه أكثر دلالة وموضوعه أكثر تحديدا ووضوحا" (شوصلر، 2007، صفحة 06) وخدمة لموضوع الترجمة، وما يريد أبو العيد دودو الوصول إليه من تعريبه للكتاب قام بالتعديل على العنوان.

يرى أبو العيد دودو في التاريخ أهمية بالغة في حفظ المقومات الوطنية والحضارية لكل أمّة، كما فيه تحصين من الانسلاخ الفكري والثقافي والتبعية الحضارية، ويقول:لكن التاريخ لا يكتب نفسه بنفسه، فهو انطواء وموت بطيء وظلام. فلا بد إذن من إحيائه وإعادة كتابته بطرق علمية سليمة، لا فرق بين ذلك الماضي القريب والبعيد، وذلك قبل أن يفنى حاملوه من رجال وكتب ووثائق (دودو، 1975، صفحة 05) . وهو الحاصل في كتابه: "الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان" والذي مضمونه عبارة عن ترجمة لنصوص متفرقة عن الألمانية، حيث يقدم أبو العيد دودو، شيئا من الحلقات المفقودة في تاريخ الجزائر، كما يذكر ذلك في مقدمة الكتاب، وفي ترجمات مثل هذه معلومات مهمّة عن تاريخ الجزائر ، لا يمكن إغفالها.

وعن هذا يقول د. دودو لست مؤرخا ولكني مؤمن بفائدة هذه النصوص والوثائق بالنسبة لكلٍّ منّا ، وخاصّة بالنسبة للمؤرخين الجزائريين، وعليهم أن يدرسوها ويناقشوها ويقارنوها بغيرها من النصوص في اللغات الأخرى ليصلوا إلى الحقائق التاريخية الثابتة ... (بفايفر، 1974، صفحة 04)

وفي موضع آخر يقول نفسه :"وكاتب هذه السطور ليس باحثا اجتماعيا ولا مؤرخا، ولذلك يكتفي بتقديم الصورة التالية عن المجتمع الجزائري وحياة أفراده وتوصيله إلى المتخصصين توصيلا أمينا" (دودو، 1975، صفحة 60) والأمانة هنا تزداد ثِقلا على كاهل المترجم كون النص قيد الترجمة نصّ تاريخي يتشارك فيه المترجم عبر ترجمته عملية البحث مع المؤرّخ.

كما يولي كتابة التاريخ بلغة الوطن أهمية قصوى، فوظيفة اللغة تتجاوز سرد الأحداث لتتحوّل إلى قيمة هوياتية تمثل أمّةً معيّنة أو كما يقول: "... فالتاريخ في نظري لا يمكن أن يُكتب إلّا بلغة البلاد. وذلك ما يحدث في جميع أنحاء العالم، فبهذه الطريقة فقط نستطيع أن نتجنب الكثير من التشويه والتحريف في الأسماء والمسميات". (بفايفر، 1974، صفحة 04)

ومثلما يمكن أن تبرز قضية الالتزام في الأدب ، لدى مختلف الأدباء والشعراء، من خلال تعرضهم للقضايا الوطنية في أعمالهم، تعود لتبرز هنا مجددا، عبر الكتب التاريخية، أو

N° Volume : 6 N° Numéro : 8 Type du numéro : Ordinaire

https://www.asjp.cerist.dz/revues/571

بالأحرى عبر ترجمة النصوص التاريخية، فإن صحّ القول فالترجمة هنا تلبس ثوب الالتزام مثلما نجده في ميدان الأدب لدى الروائيين والشعراء.

وهذا الالتزام يقابله من الجهة الأخرى طرح أبو العيد دودو حول مصدرية النصوص، فكيف يكتب مؤلفون أجانب عن تاريخ الجزائر، وهل كتاباتهم أمينة أم هي مصحوبة بشيء من التشويه والتحريف، سواء أكان الكُتّاب فرنسيين بمقام أوّل أو غيرهم من البلدان الأخرى؛ ما يجعل نقل هذه الكتب إلى العربية محفوفا بشيء الخطورة التي قد تقدم بدورها نصًّا مكذوبا من وجهة نظر تاريخية وإن كان أمينا من وجهة نظر ترجمية.

والمصادر الفرنسية تسعى دون أدنى شكّ في أغلب الأحيان، إلى تحوير الأحداث وتزييفها، بما يتناسب وأطماعها الاحتلالية، إذ ينبّه أبو العيد دودو إلى مسألة اعتماد الباحثين الجزائريين هذه المصادر البعيدة عن الموضوعية، والمتحيّزة إيديولوجيًّا ويضرب مثالا بالمقابلة التاريخية التي جمعت الجنرال الفرنسي بيجو بالأمير عبد القادر "مقابلة تافنلة" وكيف اختلف تعامل الفرنسيين وغيرهم مع سرد تفاصيل المقابلة، فيقول:" غير أن معرفتهم (أي المؤرخين) لها (المقابلة) تكاد تقوم، فيما أعتقد، على مصادر فرنسية بحتة، وهذه المصادر تحاول في أغلب الأحيان، أن تقلل من شأن المقاومة الوطنية، وأن تنظر إلى أبطالها نظرة صليبية، بينما تحرص من وجه آخر إلى إظهار الوجه البطولي، بحق وبغير حق، لقادة الحملة الفرنسية....فمن الضروري أن يرجع الباحثون إلى عندما يتصدون لكتابة تاريخ الجزائر، غلى مصادر غير فرنسية، قد تساعدهم بشكل من الأشكال إلى الوصول إلى معرفة حقيقة هذه الأحداث أو تلك، أو هي تطلعهم على الأقل بأفكار جديرة بالدرس والمناقشة. (دودو، 1975، صفحة 43) وقد نقل أبو العيد دودو تفاصل المقابلة غلى العربية عن الألمانية عن نص لـــــ "موريتس فاغنر" وخصص لها فصلا كاملا بعنوان :"الوجه الآخر لمقابلة تافنلة" وقد اختلف السرد بين النسخة الفرنسية والنسخة الألمانية.

ويكمن القول أن عامل الانتقائية يحضر في كلّ مرّة لدى المترجم، كما هو عليه الآن، وهو مبني على اختيار اللغة الأصل، لعوامل موضوعية بحتة، تتحرّى أمانة المعلومات ودقّتها في هذه اللغة دون تلك. فالنصوص الألمانية ما كانت لتصطنع أحداثا من وقع الخيال، ليس لها هدف سوى تمجيد الاحتلال الفرنسي، بل تحرّى أغلبها الموضوعية والأمانة في النقل، وهذا عامل آخر دفع بأبي العيد دودو إلى ترجمتها، كما أنّ إتقانه للّغة الألمانية كان ورقة رابحة بحوزته، يقدّم عبره إضافة علمية قيمة للمصادر التاريخية حول الجزائر.

والحاصل أنّ ترجمة النص التاريخي تأخذ طريقين:

- أولّهما : أن يترجم المترجم للنص الأصل كما ورد كاملا، دون التصرف فيها بالزيادة أو النقصان، مع الإشارة أو التوضيح أن الترجمة كذلك، وعلى أهل الاختصاص من مؤرخين، وأكاديميين تسليط الضوء على النص التاريخي المترجم، ومن ثمّ مقارنته بغيره من النصوص ذات الموضوع المشترك.

- ثانيهما: أن يقدم المترجم ترجمته إلى العربية مع التصرف، والتهميش، والحواشي وغيرها من الأدوات التي تخدم ترجمة النص لتاريخي بالأخص، وفي هذه الحال غالبا ما يكون المترجم نفسه هو المؤرخ، وهو الحاصل في ترجمات الدكتور أبو القاسم سعد الله الملقّب بشيخ المؤرخين.

N° Volume : 6 N° Numéro : 8 Type du numéro : Ordinaire

https://www.asjp.cerist.dz/revues/571

وقد اعتمد الدكتور أبو العيد دودو الطريقة الثانية، رغم أن الترجمة عنده تأتي في المقام الأول، والإضافات تكون في مقدمة الفصل عبر التعريف بكاتبه، ونبذة قصيرة عنه ما إن توفّرت، ومع إبراز السياق التاريخي الذي كتب خلاله عن الجزائر، وفي النهاية يردف أبو العيد دودو، الكتاب مجملا بتعليقات الهوامش، الواردة في المتن على شكل أرقام. في حين يعرّج بالتعليق على المعلومات التي ترجمها في كلّ مرّة اقتضت الضرورة العلمية ذلك.

في مقدمة ترجمته لكتاب " قسنطينة أيام أحمد باي" يقول دودو:"

" فليس في الإمكان معرفة مجتمع ما دون معرفة تاريخية، فتاريخ المجتمع هو الذي يبين لنا مقدار نموه وتطوره خلال المراحل التي مرّ بها، كما يوضح لنا مدى استجابته لأنماط الحياة التي خبرها نتيجة احتكاكه بالغير واطلاعه على نظمه وتقاليده وثقافته". (دودو، 1975، صفحة 59)

"والقيام بهذه الدراسة يتطلب الاطلاع على ما كتبه الرحّالون الأجانب عن المجتمع الجزائري، وجمع مادتها وتصنيفها، ....وقلّة المراجع العربية، أو بالأحرى انعدامها التام، يبرر الاهتمام بما انطبع في نفوس هؤلاء الأجانب عن الجزائر في فترات تاريخية طويلة أو قصيرة، فحرصوا على تسجيله ليطع عليه مواطنوهم في حينه، ونستفيد نحن منه في المراحل التالية" (دودو، 1975، صفحة 59)

والفائدة الكامنة في هذا النوع من الكتب والنصوص هو ثراؤها بالمعلومات والتوصيف المفصل لتلك الأزمنة والأمكنة كما يقول دودو: "لا يكاد القارئ يفتح اليوم كتابا قديما، يتحدث عن الجزائر في عصر من عصورها بلغة أجنبية، حتى يجد نفسه انتقل إليها بالفعل، يعيش ظروفها التاريخية المختلفة وأوضاعها الفكرية المتباينة، ويستعرض معالم تقاليدها وعاداتها،....." (دودو، 1975، صفحة 77)

والسبب حسبه في ذلك يعود إلى كون المؤلفين قضوا بالجزائر فترات محددة فانشغلوا بوصف جلّ التفاصيل "ذلك أن المؤلف الغربي، الذي أتيح له أن يعيش فيها فترة من حياته، كان حريصا كل الحرص على ذكر جميع التفاصيل والجزئيات التي لا يهتم الكثير منا اليوم لها... بالإضافة إلى أنها تربط حاضرنا بماضينا، وتكون جزءا من تكويننا الخلقي، وشخصيتنا القومية. (دودو، 1975، صفحة 77)

تبرز القيمة التاريخية لهذه المصادر كونها شهادات عن الكثير من جرائم الحرب التي ارتكبتها فرنسا في حقّ الجزائريين وممتلكاتهم، إذ تتضمن كذلك هذه الكتب التاريخية، بعضا من الشهادات أو المعلومات عن همجية العمليات التدميرية الفرنسية كتلك التي قام بها الجنرال "بيجو"، مثل التي ذكرها الضابط الألماني "كليمانس لامبينغ"، في كتابه،" ذكريات من الجزائر"، وقد خصّ أبو العيد دودو بالذِكْر ما حصل في سهل "الشلف" الذي تحول إلى بحر من النار كما وصفه الكاتب (دودو، 1975، صفحة 93)

كما ضمّ نفس الكتاب معلومات عن ضروب الفنون في مدينية الجزائر بالقليعة تحديدا، وحُبّ سكانها للشعر والموسيقى، ولم يكن مقهىً واحد يخلو من مُغَنٍّ أو قاصٍّ، مثل "الصوفي" وهو شاعر ممن ذكر الكاتب، كان روّاد المقاهي يجتمعون حوله، وهو يستحضر أمجاد الأندلس

N° Volume : 6 N° Numéro : 8 Type du numéro : Ordinaire

https://www.asjp.cerist.dz/revues/571

في عهد المسلمين، كما يستذكر حالها بعد سقوطها. (دودو، 1975، صفحة 94) إنّ في مثل هذه الشهادات، صور حيّة عن واقع الجزائري الاجتماعي والثقافي آنذاك وهي تزيد ممن أهميّة ترجم هذه الأعمال التاريخية.

4. خاتمة:

إنّ النصّ التاريخي، يكتسي أهميّة بالغة في الحفاظ على ماضي الأمم وتاريخها، ويقدّم معلومات مهمّة وأحيانا مفصّلة عن الدول وشعوبها، في مختلف تفاصيل الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية والثقافية وغيرها، وكلّ معلومة لها من الأهمية ما يجعل نشرها وإيصالها واجبا علميّا ، ويمكن أن ترد العديد من النصوص التاريخية مكتوبة بلغة أجنبية، وهنا يأتي دور الترجمة والمترجم في فرز النصوص ونقل هذه النصوص، وهو الحال الذي كان عليه الدكتور أبو العيد دودو، فقد قدم مثالا عن المترجم الملتزم وطنيا، وعلميا، بما تقتضيه ضرورة ترجمة التاريخ الوطني.

كما يجب التنبيه إلى أن النص التاريخي، يعتبر كغيره من النصوص العلمية، نصًّا مليئا بالمعلومات، والتواريخ والمسميّات لشخصيّات وأمكنة، والعديد من التفاصيل وهذا ما يجعل مترجمه أمام مسؤوليتين، أمانة النقل والترجمة من جهة، وأمانة تحريّ المعلومة والتحقق منها من جهة أخرى، ولا يكاد يخلو نص من هذه النصوص -أي التاريخية- من الإضافات والهوامش والتذييلات، بما يسمح بتقديم وثيقة تاريخية متكاملة يستند إليها المؤرخون، الباحثون في مختلف التخصصات.

وعن مكانة الترجمة من هذا، فإن الترجمة تشكل ورقة رابحة في هذا التخصص، أي علم التاريخ، فهي مصدر علمي ودعامة توثيقية لا يمكن تجاهلها، والمترجم من خلال ما يترجمه، سند للمؤرخ من خلال أبحاثه، وقد لعب أبو العيد دودو دورا فعّالا في نقل نصوص تاريخية مهمة عن تاريخ الجزائر، كما كان لإتقانه للغة الألمانية الفضل في ذلك، مثلما ترجم عن اللاتينية راوية الحمار الذهبي، فقد قدّم في هذه الترجمات التاريخية، شهادات حيّة عن الجزائر قُبَيل الاحتلال الفرنسي وخلال سنواته الأولى، والمميّز في هذه النصوص التي عرّبها أبو العيد دودو كونُها عن نُقلت من اللغة الألمانية، عن رحالّة خاضوا تجارب العيش في الجزائر لظروف أو لغيرها مثل الأسر، أو الترحال، أو الغارات العسكرية، لكن غالبا ما سادت الموضوعية في كتبهم، على عكس الكثير من المؤلفات الفرنسية، كما احتوت هذه النصوص على كمّ هائل من المعلومات والتفاصيل المكثّفة، على اعتبار فترة مكوث الرحّالة الألمان بالجزائر، فكتبوا عنها بشكل مفصّل ونشروا ذلك لدى عودتهم إلى أوروبا.

ختامًا، يمكننا القول أن تجربة أبي العيد دودو، في تعريب النصوص التاريخية تحديدا قدّمت نموذجا عن دور المترجم والترجمة في تزويد المؤرخ بمصادر تمهد له طريق البحث والمقارنة بين المعلومات، كما كان لأبي العيد دودو نظرته الخاصة هنا إذ اعتبرها واجبا وطنيا على من يتقن اللغات الأجنبية في تزويد بني وطنه بمصادر مثل هذه، فاكتست الترجمة هنا طابع الالتزام مثلما هو الشأن في الأدب.

Université Frère Mentouri , Constantine
Laboratoire Traduction et Langues

N° Volume : 6 N° Numéro : 8 Type du numéro : Ordinaire

https://www.asjp.cerist.dz/revues/571

5.قائمة المصادر والمراجع

1 - أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975).

2 - أبو العيد دودو، رسالة من النمسا، مجلة الفكر، العدد02 ، 1962 صفحة 83.

3 - أبوالقاسم سعدالله، *تاريخ الجزائر الثقافي*،دار البصائر للنشر والتوزيع (الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2007).

4 - أومبارو أورتادو ألبير، *الترجمة ونظرياتها، مدخل إلى علم الترجمة*. المركز القومي للترجمة (القاهرة:المركز القومي للترجمة،2007).

5 - ريتفا ليبهالمي، *عقبات ثقافية، المركز القومي للترجمة* (القاهرة : المركز القومي للترجمة، 2015).

6 - سيمون بفايفر، *مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع* (الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974).

7 - شهادة الخوري، *دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر*،(دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1989).

8 - عبد الرحمن ابن خلدون، *مقدّمة ابن خلدون، المطبعة البهية*،(مصر: المطبعة البهية، 808 هـ).

9 - فندلين شوصلرن، *قسنطينة أيام أحمد باي، وزارة الثقافة الجزائرية*،(الجزائر: وزارة الثاقفة، 2007)(الجزائر).

10 - يوسف حسين بكّار، *الترجمة الأدبية إشكاليات ومزالق*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (الأردن: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001).